جهود السينما في تقريب السيرة النبوية

فيلم (الشيماء) نموذجا

الدكتور عبد الحكيم الزُّبَيدي[1]

يعد فيلم (الشيماء) من أشهر الأفلام التي تناولت السيرة النبوية في تاريخ السينما، وظل آخر ما أنتجته السينما من أفلام عن السيرة حتى أنتج فيلم (الرسالة) للمخرج العالمي مصطفى العقاد – رحمه الله سنة (1976). وكان العقاد قد حضر تصوير فيلم الشيماء لأنه كان صديق المخرج حسام الدين مصطفى والمنتج عبد السلام موسى، وقد تخرج الثلاثة في الجامعة نفسها في أميركا[2].

أنتج فيلم (الشيماء) عام 1972م[3]عن مسرحية شعرية للأديب علي أحمد باكثير بعنوان (أوبريت شادية الإسلام). ولكن السؤال هو: هل قدم الفيلم قصة السيرة كما وردت في المسرحية أم تصرف فيها؟ وإن كان هناك فرق بين المسرحية والفيلم، فما هو هذا الفرق وأي العملين أفضل فنياً: المسرحية أم الفيلم؟ وسنحاول في هذه الورقة أن نتناول المسرحية والفيلم ونوازن بينهما، للإجابة عن التساؤلات السابقة.

المسرحية:

لا يُعرف على وجه الدقة سنة تأليف هذه المسرحية أو سنة نشر الطبعة الأولى منها. ولكن توجد في الصفحة الأخيرة من طبعة دار الكتاب العربي لمسرحية (أخناتون ونفرتيتي1967م) تحت عنوان: صدر للمؤلفإشارة إلى مسرحية بعنوان (بلبل الإسلام)، وحيث أننا لا نعلم لباكثير مسرحية بعنوان (بلبل الإسلام) فالأغلب أنها هي نفسها مسرحية (شادية الإسلام). وقد ورد هذا العنوان (بلبل الإسلام) في قائمة أعمال باكثير في كتاب (معجم الروائيين العرب) للدكتور سمر روحي الفيصل[4]. أما أقدم طبعة أتيح لي الاطلاع عليها من هذه المسرحية فهي صادرة عن دار النهضة

---

1 – جامعة الإمارات العربية المتحدة.

2 – تاريخ الموضوعات الإسلامية في السينما، مجلة المجتمع، الكويت، العدد (1498)، 2002/4/27

3 – الرواية العربية في السينما: رضا البيطار، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الدراسات (349)، 1983م، ص 103

4 – معجم الروائيين العرب: د. سمر روحي الفيصل، جروس برس، لبنان، 415هـــ/1995م ص 294

العربية سنة 1969م بعنوان: (أوبريت شادية الإسلام قصة السيرة المحمدية). وهي الطبعة التي اعتمدها الدكتور عز الدين إسماعيل في دراسته القيمة عن مسرح باكثير الشعري. وقد أشار الدكتور عز الدين إلى أنه يعتقد أن المسرحية قد كتبت قبل تاريخ نشرها (يقصد قبل عام 1969م) بوقت طويل.

والطبعة المتداولة في المكتبات اليوم هي لمكتبة مصر (دون تاريخ) بعنوان: (الشيماء شادية الإسلام). ويبدو أن هذه الطبعة صدرت بعد إنتاج الفيلم واشتهاره، فوضع الناشر عنوان (الشيماء) ليجذب انتباه القارئ.

وقد صاغباكثير المسرحية على أسلوب (الأوبريت)—كما أسلفنا- حيث مزج فيها بين النثر والشعر. وكان هدفه —رحمه الله- أن يقدم أول أوبريت في اللغة العربية الفصحى، فاختار قصة السيرة النبوية ليطبق عليها فكرته. ورغم أن المؤلف قد صاغ قصته على أسلوب المسرحية، إلا أن إمكانية تمثيلها على المسرح تبدو مستحيلة نظراً لكثرة المشاهد فيها (ثمانون مشهداً) تمتد بين مكة والمدينة وبادية بني سعد، وكان الشكل الأنسب لإخراجها هو في فيلم سينمائي.وهذا ما حدث بعد وفاة المؤلف بثلاثة أعوام، وقد أشارت بعض المصادر التي اطلعت عليها أن ذلك تم بالتعاقد مع المؤلف قبل وفاته[1].

وقد نجح المؤلف في تحقيق الأوبريت بمعناه الاصطلاحي كما عرف في المسرح الغربي، يقول الدكتور عز الدين إسماعيل:

"ولاشك في أن تكوين هذه الأوبريت من حيث الشكل سليم، حيث يتخلل الحوار النثري فيها مواقف يؤدي الحوار أو المونولوج فيها غناء. وهنا يصبح الحوار النثري مجرد أداة أو وسيلة لتمهيدية توصل إلى هذه المواقف التي هي بمثابة المحاور المعنوية الرئيسية أو الجوهرية للقصة والتي تتميز باصطناعها الشعر أداة للتعبير بما فيها من تركيز وتكثيف"[2].

وبعد أن يورد الدكتور عز الدين إسماعيل مقطعاً من المسرحية (المشهد الثامن من الفصل الثالث)، يقول:

1- تاريخ الموضوعات الإسلامية في السينما، مرجع سابق.

2- مسرح باكثير الشعري: د. عز الدين إسماعيل، مجلة المسرح، العدد (17) إبريل 1970م، ص 88

"فهذا المنهج سليم في كتابة الأوبريت، ولكن يظل السؤال عن أسلوب الشعر المستخدم قائماً، فهل كان من الضروري أن يلتزم المؤلف هنا بوحدة البيت وبالتقفية، رغم التنويع فيها؟ ألم يكن من الممكن أن يكون هذا الشعر مرسلاً صالحاً للتلحين والغناء في الوقت نفسه، وبنفس الدرجة؟ وهنا يبدو لنا –كما بدا في أوبرا قصر الهودج - أن فكرة الشعر في إطاره التقليدي هو أصلح الأشكال الشعرية للتلحين والغناء، تلك الفكرة التي تسلطت على عقل المؤلف، هي المسؤولة عن ردة المؤلف في هذين العملين عن الشكل الشعري الدرامي الجديد الذي كان أول من استكشفه واصطنعه"[1].

ويقصد بذلك الشعر التفعيلي الذي استخدمه باكثير في كتابة مسرحية (أخناتون ونفرتيتي). ويرى الدكتور عبده بدوي أن باكثير كتب الشعر التفعيلي في مسرحية (أخناتون ونفرتيتي) والأوبرا في مسرحية (قصر الهودج) والأوبريت في مسرحية (شادية الإسلام) كل هذا ليثبت طواعية اللغة العربية لكل أشكال التعبير الأدبي؛ يقول د. عبده بدوي:

"نحسب أن وراء هذا رغبته في سد الثغرات في الأدب العربي، فهو كان مشغولاً بمقولة الفارابي: تمكّن لغة الأمة بالعادة والاستعمال، وكان على وعي بخلو الأدب العربي من الملحمة والمسرحية، ومن ثم كان نزوله في هذه الساحة، (..)، ثم رأيناه يكتب تحت هذا الإحساس (أخناتون ونفرتيتي)، ويكتب الأوبرا ممثلة في (قصر الهودج) والأوبريت في (الشيماء)، وكل هذا ليقول: إن اللغة العربية لا تعجز عن هذا"[2].

وتعد أوبريت (شادية الإسلام) أول أوبريت يكتب في اللغة العربية بالفصحى، إذ كانت تكتب قبل ذلك بالعامية، يقول الدكتور محمد أبوبكر حميد: "وقد رأى باكثير أن الأوبريت العربية تكتب باللهجات المحلية، فغاظه ذلك وهو المتحمس والمؤمن بطاقات لغته، فقد كان يرى أن اللغة العربية أكبر وأوسع من الأدب العربي وأنه لا بد للأدباء العرب أن يستغلوا الطاقات الكامنة في لغتهم[3].

---

[1] – مسرح باكثير الشعري، مرجع سابق، ص 89

[2] – التجديد العروضي عند علي أحمد باكثير: د. عبده بدوي، المجلة العربية، شعبان 1415هـ، ص 91

[3] – علي أحمد باكثير.. صاحب الريادات والإبداع المتنوع في الشعر والرواية والمسرح: محمد أبوبكر حميد، صحيفة الجزيرة، 1425/9/15 هـ/ 2004/10/29م

ويبدو أن باكثير كان قد قدمها في حياته للمسرح والإذاعة والتلفزيون، ولكنها أهملت، يقول يحيى حقي في مقاله الذي كتبه في رثاء باكثير:

"لا بد لي هنا، وفاء لحقه علي أن أشيد بعمل مسرحي لم يلتفت إليه النقاد مع الأسف وقد شهدت مولده وانتفعت به، هذا العمل هو أوبريت (شادية الإسلام) الذي وئد ظلماً بتجاهل المسرح والتلفزيون والإذاعة لها وهي تجري صارخة: يا عالم! من يدلني على أوبريت؟إنها أفضل عمل يقدم للجمهور.."[1].

بين المسرحية والتاريخ

بالرجوع إلى كتب السيرة نجد أن ذكر الشيماء لا يتعدى أسطراً قليلة؛ ويبدو أن في صحبتهاخلافاً[2]. أما خبر حليمة حول قدومها إلى مكة وعودتها بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو رضيع فخبر طويل مشهور، ولكنه لم يحظ بتصحيح المحدثين لعلل إسنادية، ولكن رضاعه (صلى الله عليه وسلم)، في بني سعد من قبل حليمة السعدية ثابت من طرق أخرى[3].

وملخص الخبر أنحليمة قدمت إلى مكة مع زوجها الحارث بن عبد العزى وابنها الرضيع عبد الله بعد مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، ضمن مرضعات من بني سعد بحثاً عن طفل ترضعه، وقد رغبت في بادئ الأمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه يتيم، كما رغبت عنه بقية المرضعات، ولكنها لما لم تجد غيره أخذته، فرأت من بركته صلى الله عليه وسلم ما رأت. وحين بلغ عامين أعادته صلى الله عليه وسلم إلى أمه حسب الاتفاق المسبق، ولكنها رجتها أن تتركه عندهم مدة أطول لما رأت من بركته، فوافقت أمه، ولكنها أعادته بعد حادثة شق الصدر خوفاً عليه[4]. وبهذا يطوى ذكر حليمة وأسرتها، ولا ذكر فيه للشيماء؛ ثم تذكر الشيماء في أحداث غزوة حنين.

---

1 - المرجع السابق، نقلا عن: صحيفة التعاون 16-11- 1969م.

2 - هل صحت صحبة الشيماء؟: موقع ملتقى أهل الحديث:
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=279192&highlight=%C7%E1%D4%ED%E3%C7%C1

3 - السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية:د. أكرم ضياء العمري، مركز بحوث السيرة والسنة بجامعة قطر، 1411هـ، 1991م، ج 1، ص 102

4 - تهذيب سيرة ابن هشام: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ/1989م، ص 42-45

ولكن باكثير في المسرحية جعل الشيماء وأسرتها على تواصل مع الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يرسل لهم الهدايا ويصلهم. وهذا وإن لم يذكر في كتب السيرة فإنه غير مستبعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما عرف من بره وحسن خلقه، ولما أوصى به الإسلام من صلة الأرحام.

ولا ذكر لزوج الشيماء في كتب السيرة، أما (بجاد) الذي جعله باكثير زوجاً للشيماء، فقد ورد في سيرة ابن هشام أن الرسول صلى الله عليه وسلمقال يوم هوازن:

"إن قدرتم على بجاد –رجل من بني سعد بن بكر- فلا يفلتنكم، وكان قد أحدث حدثاً، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الرضاعة"[1].

وقد التقط باكثير هذه الإشارة ليجعل (بجاداً) هذا زوجاً للشيماء ليضيف للقصة عنصر التشويق، وليجعله مقابلاً لإيمان الشيماء حتى يذكي الصراع ويجعل الأحداث أكثر درامية.

وغني عن القول أيضاً أن كتب السيرة لم تشر إلى أن الشيماء كانت ذات صوت رخيم، ولكن باكثير هو الذي منحها تلك الموهبة ليجعلها تنشد الأناشيد التي تدافع بها عن الإسلام وتساهم في نشره بسلاح الفن، فكانت بمثابة المنبر الإعلامي للإسلام تنافح عنه بأناشيدها وصوتها.

أما خبر الشيماء في (حنين)، فلا يتعدى أسطراً قليلة، لا تعدو عما ذكره ابن هشام في سيرته، حيث يقول:

"قال ابن إسحاق: وحدثني بعض بنى سعد بن بكر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: إن قدرتم على بجاد، رجل من بنى سعد بن بكر، فلا يفلتنكم، وكان قد أحدث حدثا، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرضاعة؟ فعنفوا عليها في السياق، فقالت للمسلمين: تعلموا والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] – تهذيب سيرة ابن هشام، مرجع سابق، ص 307

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن عبيد السعدي، قال: فلما انتهى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: يا رسول الله، إني أختك من الرضاعة، قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك، قال: فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة، فبسط لها رداءه، فأجلسها عليه، وخيرها، وقال: إن أحببت فعندي محبة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت، فقالت: بل تمتعني وتردني"[1].

ولم يشر ابن هشام إلى تشفعها في قومها، ولكن باكثير جعلها هي التي تتشفع لقومها عند الرسول (صلى الله عليه وسلم)، لأنها أخته من الرضاعة فهي أولى بهذا الأمر، وجعل باكثير طلب زهير بن صرد إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)، إنما هو باقتراح من الشيماء، بناء على طلب الرسول أن تعين وفدا ليكلمه في الأمر أمام المسلمين[2]:

أبو ثروان: حدثينا يا بنت أخي هل لقيت محمداً؟ وماذا قال لك؟

الشيماء: بأبي هو وأمي! ما أن رآني وعرفني حتى قام لي مرحباً وبسط لي رداءه فأجلسني عليه، ونظرت إلى عينيه فإذا هما تدمعان، لعله تذكر أمي حليمة. ثم قال لي: يا شيماء سلي تعطي، واشفعي تشفعي. فقلت له: أسألك قومي يا رسول الله.

أبو ثروان: فماذا قال لك؟

الشيماء: وعدني خيراً، وأمرني أن أختار وفداً منكم يأتون إليه مسلمين حتى يسأل لهم الناس.

أبو ثروان: هذا والله خير، فمن تختارين؟

الشيماء: عليك أنت يا عمي أبا ثروان أن تختار لنا بضعة عشر رجلاً ليكونوا في الوفد.

أبو ثروان: وأنا منهم؟

الشيماء: نعم، وليكن رئيسكم زهير بن صرد.

[1] - المرجع السابق، الصفحة نفسها

[2] - أوبريت شادية الإسلام: علي أحمد باكثير، دار النهضة العربية، 1969م، ص 140-141

والملاحظ هنا أن باكثير قد ضرب صفحاً عن ذكر قصة العضة، وكأنه يشكك في هذه الرواية، ويجل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يحوج المرأة إلى أن تكشف عن ظهرها أمامه، وأمام من معه لتثبت له أنها الشيماء.

ويبدو أن باكثير قد اعتمد في مسألة شفاعة الشيماء على رواية ابن كثير الذي أورد الخبر في (البداية والنهاية) هكذا:

"وروى البيهقي من حديث الحكم بن عبد الملك عن قتادة قال: لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقالت: يا رسول الله أنا أختك أنا شيماء بنت الحارث، فقال لها: "إن تكوني صادقة فإن بك مني أثر[1] لا يبلى"، قال فكشفت عن عضدها فقالت: نعم يا رسول الله وأنت صغير فعضضتني هذه العضة، قال فبسط لها الرسول (صلى الله عليه وسلم)، رداءه ثم قال: "سلي تعطي واشفعي تشفعي"[2].

والملاحظ أن باكثير كان عميق الثقافة والاطلاع على كتب التراث. فنجد أنه لم يعتمد على مصدر واحد، ولم يقتصر على كتب السيرة، بل عمد إلى كتب التاريخ كالبداية والنهاية، وكتب الأدب مثل (نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري). وكان يلتقط الخبر من المصدر الذي يروقه بعد أن يوازن بين الروايات فينتقي أقربها إلى المعنى الذي يريد إيصاله. فنراه يختار رواية (ابن كثير) لأنها تنسب الشفاعة إلى الشيماء، كما أشرنا قبل قليل، ونجده يأخذ من النويري، أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يأمر لكل واحد من أسرى هوازن (وعددهم ستة آلاف) بثوب[3]:

أبو طلحة: أبشروا يا وفد هوازن، فقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يعطى كل واحد في السبي ثوباً فلا يخرج أحد منهم إلا كاسياً.

---

[1] – كذا في الأصل، ولعل خطأ مطبعياً قد وقع فيه، وصوابه: أثراً

[2] –البداية والنهاية:أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1965م، ج 4، ص 364

[3] – أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 143

وهذا الخبر لم يرد في أي من كتب السيرة التي اطلعت عليها، كما لم يرد في (البداية والنهاية)، ولكنه ورد في (نهاية الأرب)، حيث قال: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبى قبطية قبطية، والقباطي: ثياب بيض تتخذ من الكتان بمصر"[1].

كذلك نجده ينقل عن (نهاية الأرب) بعض الأبيات التي أنشدها زهير للنبي صلى الله عليه وسلم مستشفعاً، والأبيات لم ترد في كتب السيرة، وأورد ابن كثير بيتين منها، أما النويري فقد أوردها كاملة:[2]

1 امنن علينا رسول الله في كرم — فإنك المرء نرجوه وننتظرُ
2 امنن على بيضة قد عاقها قدر — ممزق شملها، في دهرها غِيرُ
3 يا خير طفل ومولود ومنتجب — في العالمين إذا ما حصل البشرُ
4 إن لم تداركهم نعماء تنشرها — يا أرجح الناس حلما حين يختبرُ
5 فامنن على نسوة قد كنت ترضعها — إذ فوكيملؤه من محضها دِرَرُ
6 إذ كنت طفلا صغيرا كنت ترضعها — وإذ يزينك ما تأتي وما تذرُ
7 لا تجعلنا كمن شالت نعامته — واستبق منا فإنا معشر زهرُ
8 يا خبر من مرحت كمت الجياد به — عند الهياج إذا ما استوقد الشررُ
9 إنا لنشكر آلاء وإن كفرت — وعندنا بعد هذا اليوم مدخرُ
10 إنا نؤمل عفوا منك تلبسه — هذى البرية إذ تعفو وتنتصرُ
11 فاغفر عفا الله عما أنت واهبه — يوم القيامة إذ يهدى لك الظفرُ

وقد اكتفى باكثير بستة أبيات منها، هي:

1 امنن علينا رسول الله في كرم — فإنك المرء نرجوه وننتظرُ
5 امنن على نسوة قد كنت ترضعها — إذ فوك يملؤه من محضها دِرَرُ
7 لا تجعلنا كمن شالت نعامته — واستبق منا فإنا معشر زهرُ
وعندنا بعد هذا اليوم مدخرُ

[1] – نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب النويري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1946م

[2] – المرجع السابق

9 إنا لنشكر آلاء وإن كفرت — هذى البرية إذ تعفو وتنتصرُ
10 إنا نؤمل عفوا منك تلبسه — يوم القيامة إذ يهدى لك الظفرُ
11 فاغفر عفا الله عما أنت واهبه

وتنم المسرحية عن تمكن باكثير من أحداث السيرة وفقهه لها، فمن ذلك هذا الحوار بين الحارث (والد الشيماء) وابنه عبد الله[1]:

الحارث: (لابنه عبد الله الذي قدم من مكة) الحمد لله على سلامتك يا بني، كيف حال محمد؟

عبد الله: بخير يا أبي وعافية

الحارث: ويذكرني؟

عبد الله: يذكرك كثيراً ويعتز بك، حتى إنه ليفرح إذا نسبته قريش إليك وسمته ابن أبي كبشة

الحارث: قاتلها الله! كيف يدعونه ابن أبي كبشة وهو ابن عبد المطلب بن هاشم؟

عبد الله: تريد قريش أن تسخر به، ولكنه يسر بذلك لأنه يحبك ويعتز بك

الحارث: بأبي هو وأمي ما أكرمه وأنبله

فهذا الأمر وهو سبب تسمية قريش للنبي (صلى الله عليه وسلم) بابن أبي كبشة من دقائق السيرة التي يجهلها كثير من الناس. وقد تعددت التفسيرات لذلك اللقب ولكن باكثير اختار ما يناسب المعنى الذي يريد إيصاله. قال ابن حجر في فتح الباري[2]:

"وَابْنُ أَبِي كَبْشَةَ أَرَادَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ لِأَنَّ أَبَا كَبْشَةَ أَحَدُ أَجْدَادِهِ، وَعَادَةُ الْعَرَبِ إِذَا انْتَقَصَتْ نَسَبَتْ إِلَى جَدٍّ غَامِضٍ، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ النَّسَّابَةُ الْجُرْجَانِيُّ: هُوَ جَدُّ وَهْبٍ جَدِّ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمِّهِ. وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ وَهْبًا جَدَّ النَّبِيِّ ﷺ اسْمُ أُمِّهِ عَاتِكَةُ بِنْتُ الْأَوْقَصِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ هِلَالٍ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّسَبِ إِنَّ الْأَوْقَصَ يُكَنَّى أَبَا كَبْشَةَ. وَقِيلَ هُوَ جَدُّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِأُمِّهِ، وَفِيهِ نَظَرٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّ أُمَّ

---

1 - أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 59

2 - فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر العسقلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، 1959م

عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَلْمَى بِنْتُ عَمْرِو بْنِ زَيْدٍ الْخَزْرَجِيِّ وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّسَبِ إِنَّ عَمْرَو بْنَ زَيْدٍ يُكَنَّى أَبَا كَبْشَةَ. وَلَكِنْ ذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ فِي الْمُجْتَبَى جَمَاعَةً مِنْ أَجْدَادِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ وَمِنْ قِبَلِ أُمِّهِ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُكَنَّى أَبَا كَبْشَةَ، وَقِيلَ هُوَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَاسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى قَالَهُ أَبُو الْفَتْحِ الْأَزْدِيُّ وَابْنُ مَاكُولَا، وَذَكَرَ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَكَانَتْ لَهُ بِنْتٌ تُسَمَّى كَبْشَةَ يُكَنَّى بِهَا، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَالْخَطَّابِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ خَالَفَ قُرَيْشًا فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَعَبَدَ الشِّعْرَى فَنَسَبُوهُ إِلَيْهِ لِلِاشْتِرَاكِ فِي مُطْلَقِ الْمُخَالَفَةِ، وَكَذَا قَالَهُ الزُّبَيْرُ، قَالَ: وَاسْمُهُ وَجْزُ بْنُ عَامِرِ بْنِ غَالِبٍ".

وقد أتاح قلة المصادر حول الشيماء لباكثير حرية التحليق بخياله، فالتزمبأحداث السيرة النبوية كما وردت في كتب السيرة، ولكنه أطلق لخياله العنان في تناوله لقصة الشيماء، مع التزامه الشديد بالمعلومات القليلة التي وردت في السيرة عنها، على نحو ما أشرنا سابقاً.وقد أعطت هذه الحرية النص المسرحي مميزاتعدة، منها:

أن المؤلف قد جعل البطولة فيها لامرأة وقدم السيرة النبوية من خلالها، فأبرز بذلك دور المرأة في نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله، وهو دور قل من تناوله بهذا التفصيل وأعطاه هذا الحجم، وهذه مأثرة تحسب للمؤلف رحمه الله، الذي كانت له أعمال أخرى أنصف فيها المرأة وأبرز أهمية دورها في المجتمع، ليس هنا مجال الحديث عنها. وقد أشار المؤلف في المسرحية نفسها إلى دور أم حكيم في إسلام زوجها عكرمة بن أبي جهل (الفصل الخامس، المشهد العاشر)، وكان باكثير قد أفرد مسرحية قصيرة بعنوان (زوجتان صالحتان) نشرت ضمن مجموعة مسرحيات قصيرة بعنوان (من فوق سبع سموات)، تحدث فيها عن دور كل من أم حكيم وابنة عمها الفاختة في هداية زوجيهما عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية إلى الإسلام. وقد ضمَّن باكثير في مسرحية (شادية الإسلام) بعض مقاطع من الحوار مأخوذة من تلك المسرحية القصيرة. فمن ذلك قول أسامة[1]:

أسامة: أجل، لله در نسائكم يا بني مخزوم، يسبقن أزواجهن إلى الإسلام ثم يجاهدن حتى يفيء أزواجهن إلى الإسلام.

[1] – أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 170

وهذا الحوار بنصه موجود في مسرحية (زوجتان صالحتان)[1]، ولكن على لسان صفوان بن أمية.

وكذلك قول عكرمة، رداً على سؤال الشيماء[2]:

الشيماء: كيف تجد نفسك الآن يا عكرمة؟

عكرمة: ماذا أقول يا أخت بني سعد؟ أجدني كأنما ولدت من جديد حين وضعت يدي في يد خير الناس وأبر الناس وأكرم الناس.

وقد ورد الحوار نفسه في مسرحية (زوجتان صالحتان)، ولكنه كان رداً على سؤال خالد بن الوليد[3]:

خالد: كيف تجد نفسك الآن يا عكرمة؟

عكرمة: ماذا أقول يا أبا سليمان؟ أجدني كأنما ولدت من جديد حين وضعت يدي في يد خير الناس وأبر الناس وأكرم الناس.

وقد جعل باكثير مدار المسرحية كلها على الشيماء، وجعلها تقوم بدور المنافح عن الإسلام المرغب فيه، والمنفر عن معاداته وحربه. فقد جعل باكثير الشيماء –مثلاً– تنكر على مالك بن عوف حين أخذ يؤلب قبائل هوازن على حرب المسلمين في حنين، حتى قال لها بعد أن ضاق بجدالها له، ولم يقو على مقارعتها الحجة بالحجة[4]:

مالك: إني آمرك يا شيماء أن ترجعي إلى خبائك.

الشيماء: وإني والله لا أطيع أمرك. إن هوازن قومي كما أنهم قومك، فلأتبعنك حيثما تسير فلأدعونهم إلى الخير كلما دعوتهم أنت إلى الشر.

---

1 – من فوق سبع سموات: علي أحمد باكثير، سلسلة إقرأ، دار المعارف، القاهرة، 1970م، ص 90

2 – أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 170

3 – من فوق سبع سموات، مرجع سابق، ص 90

4 – أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 129

بل بلغ به الأمر أن جعل عدم اشتراك كعب وكلاب في معركة حنين، بتأثير من الشيماء[1]:

بجاد: دعها وشأنها.. هوازن كلها معك

مالك: ألم تر كيف ثبطت عنا قبيلة كعب وكلاب فأجمعتا ألا تشتركا معنا؟

بجاد: هون عليك، إن غابت عنك كعب وكلاب فإن سائر هوازن معك، وإن ثقيفاً معك.

كما أبرز باكثير في المسرحية دور نساء أخر، مثل أم سليم زوجة أبي طلحة التي خرجت للقتال في حنين وهي حامل[2].

الأمر الآخر الذي تمتاز به هذه المسرحية هو أن المؤلف اختار بقعة جغرافية بعيدة نوعا ما عن الأحداث وهي بادية بني سعد، فأتاح بذلك للمشاهد أن يتابع أحداث السيرة عن بعد، فتجنب بذلك بذكاء إشكالية تمثيل شخصية الرسول الأكرم –صلى الله عليه وسلم– والخلفاء الراشدين الذين حرم الأزهر تمثيل شخصياتهم، فضمن بذلك لعمله إمكانية التمثيل. والمؤلف صاحب تجربة مرة في هذا المجال، حيث أنجز ملحمة مسرحية ضخمة عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه تفرغ لكتابتها على مدى عامين كاملين واطلع في سبيل ذلك على مئات المراجع، وكان يأمل أن تطوف فرقة تمثيلية بالملحمة أقطار العالم الإسلامي كله لتعرض هذه المسرحية على شعوبها، حيث لم تكن القنوات الفضائية موجودة في ذلك الوقت، ولكن الأزهر الشريف رفض السماح بتمثيلها لظهور شخصية عمر وبقية الخلفاء فيها.

ولم تحضر شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم–وإن كانت حاضرة في كل المسرحية من خلال دوران الأحداث حولها– إلا في ثلاثة مشاهد فقط، وكان أبو طلحة رضي الله عنه هو الذي ينقل للمشاهد أو القارئ أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم أو يصف حالته؛ المشهد الأول هو (المشهد الخامس عشر) من (الفصل الرابع) والمشهد حوار بين أبي طلحة وزوجه أم سليم، ومنه[3]:

أبو طلحة: وما هذا الذي بيدك؟

أم سليم: خنجر أخذته إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به.

---

1 – أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 130

2 – المرجع السابق، ص 134

3 – أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 134–135

أبو طلحة: (يرفع صوته) أسمعت يا رسول الله ما تقول أم سليم العميصاء؟

أم سليم: ويحك يا أبا طلحة، لقد أضحكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه.

والمشهد الثاني هو (التاسع عشر) من (الفصل الرابع)(1):

(وفد هوازن أمام النبي صلى الله عليه وسلم)

أبو طلحة: يقول لك رسول الله: هات ما عندك يا زهير بن صرد

زهير: يا رسول الله، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أرضعنا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين. (ينشد):

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وننتظرُ
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك يملؤه من محضها دِرَرُ
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فإنا معشر زهرُ
إنا لنشكر آلاء وإن كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخرُ
إنا نؤمل عفوا منك تلبسه ... هذى البرية إذ تعفو وتنتصرُ
فاغفر عفا الله عما أنت واهبه ... يوم القيامة إذ يهدى لك الظفرُ

أبو طلحة: يقول لك رسول الله: إن أحسن الحديث أصدقه...إلخ

والمشهد الثالث هو (المشهد الخامس) من (الفصل الخامس)(2):

(في المدينة في المسجد النبوي الشريف)

ضمام: يا رسول الله إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك.

أبو طلحة: يا ضمام بن ثعلبة، يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: سل ما بدا لك.

1- المرجع السابق، ص 142-143

2- المرجع السابق، ص 157-158

..إلخ

أما بقية المشاهد فلم يكن هناك حضور مباشر للرسول صلى الله عليه وسلم فيها، وإن كانت بعض أحداثها تدور في مكة والمدينة، حيث كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقيم.

الأمر الآخر هو تركيز الحوار وتكثيفه، وقد أعطت هذه الميزة الحوار جمالاً وروعة وجعلته أكثر متعة، كما أن هذه الخاصية أعطت المؤلف إمكانية أن يغطي كل أحداث السيرة النبوية منذ ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى قرب وفاته، وهي مدة زمنية تغطي أكثر من ستين عاماً في أقل من مئتي صفحة.

يقول الأستاذ عبد الله الطنطاوي عن المسرحية[1]:

"ولعل أجمل ما في هذه المسرحية التاريخية، ذلك الحوار الجميل الذي احتوى الحدث التاريخي في حدب،(...) ولنقرأ معاً هذا المشهد القصير الذي كان والمسلمون مع رسول الله على مشارف حنين، بين أبي طلحة وزوجته أم سليم، لنرى أيّ إيجاز وأيّ تركيز وأيّ تخلّص من أيّ محذور شرعي في ظهور الرسول الكريم أو حتى سماع صوته الشريف".

والخاصية الأخرى لهذا العمل، ولعلها أهم خاصية، هي أن المؤلف قد صاغ المسرحية على طريقة (الأوبريت) كما أسلفنا، فكتب لها (20) مقطوعة شعرية، تؤرخ للأحداث وتعلق عليها. وهذه النصوص الشعرية هي التي عليها مدار القصة، وهي عماد الأحداث حيث تبدو النصوص النثرية محض تمهيد للنص الشعري وتوطئة له. وقد جاء توزيع القصائد متساوياً تقريباً في الفصول؛ فقد حوى الفصل الأول خمس قصائد هي:

1- أواه أواه أواه قد بلغ الخطب أقصاه: وهي صوت هاتف يرهص بمولد النبي (صلى الله عليه وسلم) وتردد الشيماء معه

2- هيا بني سعد للخير والرفد: في الطريق إلى مكة بحثاً عن الرضع

3- ذاك اليتيم يا أمه لا ترفضيه: تحث أمها على قبول رضاعة النبي (صلى الله عليه وسلم)

---

1 - أضواء على مسرح باكثير التاريخي (2): الشيماء شادية الإسلام: عبد الله الطنطاوي، موقع رابطة أدباء الشام: http://www.odabasham.net/show.php?sid=1101

4- عودوا بمال وعسجد فحسبنا حسبنا محمد: أثناء عودهم بالنبي (صلى الله عليه وسلم) إلى ديارهم

5- زفوا الضحى للكوكب: بمناسبة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة.

أربع قصائد في الفصل الثاني:

1- لاموا أباطالب عليه كي يتخلى عن الذمار: حماية أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم

2- يا عبرتي جودي جودي على المكارم والجود: في رثاء خديجة وأبي طالب وحليمة

3- يعرض نفسه على القبائل يا ويحه من مانح كالسائل: قصة عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل

4- نجا نجا نجا من عصبة البغي نجا: نجاته (صلى الله عليه وسلم) من تدبير قريش ليلة الهجرة

وأربع قصائد في الفصل الثالث:

1- انج بالعير أبا سفيان وافرح ما بدا لك: انتصار بدر

2- هل جاءك الأنباء عن أحدِ فعلام لم تملك من الكمدِ: هزيمة أحد

3- سلام سلام سلام سلام لداعي السلام نبي السلام: صلح الحديبية

وأربع قصائد في الفصل الرابع:

1- عشرة آلاف نار تضرمت في صعيد: حصار مكة

2- أتاك النصر والفتحُ وأشرق وجهك السمحُ: فتح مكة

3- فقدت هوازن رشدها وا حسرتاه على هوازن: خروج هوازن لحرب المسلمين

4- آيبون تائبونطائعون عابدون: عودة الأسرى بعد أن أطلق الرسول (صلى الله عليه وسلم) سراحهم

وثلاث في الفصل الخامس:

1- هوازن الخير هلموا إلى سبيل إيمان وإسلام: تحث قومها على المشاركة في غزوة تبوك

2- رسول الله يا خير البرايا إليك تقلنا ذلل المطايا: في الطريق إلى المدينة عام الوفود

3- الحمد لله يا بجادُ تم بإسلامك المرادُ: بعد إسلام بجاد، وبها تختتم المسرحية.

وقد جاء توزيع أحداث السيرة المطهرة على الفصول كالآتي: الفصل الأول (12 مشهداً) يغطي الفترة من مولده (صلى الله عليه وسلم) حتى زواجه بخديجة رضي الله عنها (25 سنة)؛ الفصل الثاني (15 مشهداً) يغطي الأحداث من بعثته (صلى الله عليه وسلم) حتى هجرته (13 سنة)؛ والفصل الثالث (19 مشهداً) يغطي الأحداث من وصول الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة حتى صلح الحديبية (6 سنوات)؛ والفصل الرابع (21 مشهداً) يغطي الأحداث من غزوة خيبر حتى غزوة مؤته (سنتين)؛ والفصل الخامس (13 مشهداً) يصف إسلام عكرمة وبجاد وعام الوفود (سنتين).

وكأني بباكثير يريد في هذه المسرحية أن يؤكد على دور الفن في تهذيب النفوس والسمو بالأرواح، واستخدامه سلاحاً في معركة الأمة ضد أعدائها، وذلك بأن تجعل منه وسيلة لشحذ الهمم، والدفاع عن الدين، والحث على الجهاد ونصرة الحق. وقد جعل باكثير عكرمة بن أبي جهل قبل إسلامه يقدم إلى بادية بني سعد ويطلب منهم تسليمه الشيماء لأنها تحرض بني سعد على قريش وتدعوهم إلى نصرة محمد، ولكن قومها يرفضون تسليمها، ويقول له زهير بن صرد[1]:

زهير: أعرض عن الذي حدث اليوم ولا تذكره لأحد، فإنه والله لمعرة عليكم إذ طلبتموه منا، وسبة علينا لو أجبناكم إليه، ماذا تقول العرب عنكم غدا إذا علمت أنكم لا تبالون أن تسوقوا نساءها الحرائر إليكم نكاية في محمد؟ والله إن كنتم لا تقدرون على محمد وهو بين ظهرانيكم إلا بالقبض على أخت له من الرضاعة في بادية بني سعد، إنكم إذن لمخذولون من اليوم، وإن محمداً لهو الغالب المنتصر

عكرمة: هذا حسن يا زهير. ولكنا علمنا أن صوتها سلاح خطير

[1] - أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 58

زهير: يا بن أبي الحكم.. لبئس السلاح سلاحكم والله. إن كان يغلبكم صوت امرأة في بني سعد.

ولكن أحداث المسرحية تثبت صدق ما تخوف منه عكرمة، فقد استطاعت الشيماء أن تهدي قومها إلى الحق بصوتها وغنائها. وهكذا يوجه باكثير نقداً غير مباشر للغناء في عصره، الذي تفشى فيه الغناء الهدام، الذي يلهي الناس عن مشكلاتهم، بدل أن يساعدهم على حلها. وباكثير من الأدباء الذين يرون في الأدب والفن نعمة من نعم الله التي يجب أن تستخدم في معركة الأمة ضد أعدائها، فقد تحدث في كتابه (فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية) عن (الكاتب الداعية)، كما أن له محاضرة ألقاها في مؤتمر الكتاب العرب في بغداد سنة 1968م، ونشرها في مجلة الآداب البيروتية بعنوان: (دور الأديب العربي في المعركة ضد الاستعمار والصهيونية)[1]، دعا فيها إلى استخدام الأدب في نصرة الأمة وتبصيرها بالمخاطر المحدقة بها، ورسم سبل النجاة لها. وهو في هذه المسرحية يؤكد على هذا بالدعوة إلى استخدام الفن أيضاً في هذه المعركة.

ومما امتازت به المسرحية أيضاً سهولة اللغة مع فصاحتها، حيث نجد أن باكثير قد استخدم لغة سهلة، أقرب إلى اللغة المعاصرة. فمن ذلك قول الحارث: (الحمد لله على سلامتك)، فهو من التعابير المعاصرة، ولكن باكثير لم ير في استخدامه بأساً، مادام لا يتنافى مع قواعد اللغة الفصحى وليس فيه خروج عنها.

ومن ذلك أيضاً قوله[2]:

عبد الله: أوقد نسيت بني قريضة يا شيماء؟

الشيماء: ما بالهم؟

عبد الله: انتظرت حتى رأيت ما أنزل بهم النبي (صلى الله عليه وسلم) جزاء خيانتهم العظمى للمسلمين

الشيماء: والله إن هؤلاء ليستحقون الذبح

[1] – دور الأديب العربي في المعركة ضد الاستعمار والصهيونية: علي أحمد باكثير، مجلة الآداب، بيروت، مايو 1969م

[2] – أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 106

عبد الله: فقد غزاهم رسول الله وحاصرهم حتى سلموا، فأمر أن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم.

فمصطلح (الخيانة العظمى) هو مصطلح معاصر، ولم يكن متداولاً في ذلك العهد، ولكن باكثير استخدمه، ليقدم المسوغ لفعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ببني قريضة لأنهم اقترفوا ذنباً عظيماً تعاقب عليه القوانين المعاصرة بالقتل.

كذلك نجد باكثير يستبدل ببعض الألفاظ الغريبة التي وردت في المراجع ألفاظاً مأنوسة مرادفة لها، فمن ذلك قول زهير بن صرد حين استشفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحواضنه ورواضعه من سبي هوازن[1]:

زهير: يا رسول الله، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أرضعنا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

والنص السابق منقول بنصه من المصادر التي أوردته، فيما عدا كلمة واحدة هي كلمة (أرضعنا) فقد وردت في المراجع (ولو أنا مَلَحنا للحارث بن أبي شمر) وقد شرحها محقق (تهذيب سيرة ابن هشام) بقوله: مَلَحنا: أرضعنا، والملح الرضاع[2].

كما نجده يعمد إلى شرح بعض المفردات الغريبة التي نقلها كما وردت في كتب السيرة. فمن ذلك مثلاً هذا الحوار الذي يحكي عن وصول النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة مهاجراً[3]:

(خارج يثرب وفي أطرافها)

يهودي: (يصرخ بأعلى صوته) يا بني قيلة! يا معشر الأوس والخزرج! هذا جدكم قد ظهر

صوت: اسمعوا ما يقول هذا اليهودي من فوق الأطم

الصوت: يا بني قيلة هذا حظكم الذي تنتظرون قد جاء

1- المرجع السابق، ص 142

2- تهذيب سيرة ابن هشام: مرجع سابق، ص 313

3- أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 70

القوم: لعله يعني رسول الله

فقول اليهودي (يا معشر الأوس والخزرج) هو تفسير لقوله (يا بني قيلة) إذ لم يرد في النص التاريخي ذكر الأوس والخزرج، وكذلك قوله (هذا جدكم) فسره باكثير على لسان اليهودي بقوله: (هذا حظكم)، وهذا أيضاً لم يرد في كتب السيرة. ومن ذلك أيضاً قوله[1]:

أسامة: ألم يبلغك يا أبي ماذا فعل اليهود؟

زيد: ماذا فعلوا؟

أسامة: دسوا شاباً منهم فجلس إلى جماعة من الأنصار فأخذ يذكر لهم يوم بعاث الذي اقتتلت في الأوس والخزرج وينشد لهم الأشعار التي قالوها في ذلك...إلخ

فقوله: (الذي اقتتلت في الأوس والخزرج) هو شرح لمعنى (يوم بعاث)، وهذا أيضاً لم يرد في الأصل الذي نقل عنه.ومنه أيضاً قوله في حديث غزوة بني قينقاع[2]:

القوم: لكن أموالنا يابن أبي؟

ابن أبي: قد سألته أيضاً في أموالكم فرضي أن يتركها لكم، إلا الحلقة

القوم: تعني السلاح؟

ابن أبي: نعم فافرحوا واستبشروا

فقولهم: (تعني السلاح) هو تفسير لقوله: (الحلقة)، وهذا من إضافة باكثير للنص الذي ورد في المراجع.

كما فسر باكثير أيضاً بعض الألفاظ الغريبة التي ألجأته إليها القافية، كما في قوله[3]:

حتى صحوا فآنسوا على الرؤوس رهجا

كيف حثا على رؤوسهم ترابا ونجا؟

1- المرجع السابق، ص 80-81

2- أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 92-93

3- المرجع السابق، ص 73

فقوله: (ترابا) في البيت الثاني هو تفسير لكلمة (رهجا) في البيت الأول.

وتبدو ثقافة باكثير التراثية واضحة أيضاً في حسن اختياره للألفاظ، فمن ذلك قوله[1]:

بجاد: في بدر، لقد التقى الجمعان في بدر

الشيماء: والعير؟

بجاد: نجا بها أبو سفيان.. لم يبق أمام محمد إلا النفير ألف راجل وثلاثمائة فارس. كل أبطال قريش وشجعانها

فقول بجاد (لم يبق أمام محمد إلا النفير)، يدل على عمق ثقافته التراثية، ومعرفته بقصة المثل (لا في العير ولا في النفير).

ومن الإشارات التي تدل على عمق ثقافته أيضاً قوله على لسان الشيماء[2]:

انج بالعير أبا سفيان وافرح ما بدالك

أنت لا تسطيع أن تنجي في بدر رجالك

أين أشياخك أم أين الأحبة؟

فقوله (أشياخك) تستدعي إلى الذاكرة قول عبد الله بن الزبعرى في أحد:

ليت أشياخي ببدر شهدواجزع الخزرج من وقع الأسلْ

وقوله في القصيدة نفسها[3]:

يوم جبريل على الحيزوم يجري

فارساً يختال في كرٍ وفرِ

فحيزوم هي فرس قاتل عليها الملائكة.

الفيلم:

1 – المرجع السابق، ص 86

2 – المرجع السابق، ص 88

3 – أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 89

الفيلم من إنتاج عبد السلام موسى (المؤسسة المصرية للسينما)، أخرجه حسام الدين مصطفى، الذي يُعد ثاني مخرج مصري بعد صلاح أبو سيف اهتماماً بالأدب في السينما المصرية[1]، وكتب السيناريو كل من: عبدالسلام موسى وصبري موسى، وكتب الحوار:عادل عبد الرحمن، وكان إنتاجه في 28 أغسطس 1972م، حسب معظم المصادر[2]، بينما ورد في بعض المصادر أنه أنتج في مارس سنة 1971م[3].

كتب أغاني الفيلم: عبد الفتاح مصطفى، ولحنها كل من: بليغ حمدي ومحمد الموجي وعبد العظيم محمد، وسجلت الأغاني بصوت المطربة سعاد محمد. ومثل أدوار البطولة فيه: سميرة أحمد في دور الشيماء وأحمد مظهر في دور بجاد، مع كوكبة من ألمع نجوم السينما المصرية.

وفيلم الشيماء هو آخر فيلم ديني تنتجه السينما المصرية، وعربياً لم يأت بعده إلا فيلم الرسالة للعقاد. أما فيلم (القادسية1981م) المأخوذ عن مسرحية (أبطال القادسية) لباكثير، وهي جزء من ملحمة عمر، فلا يعد من الأفلام الدينية بل من الأفلام التاريخية.

وكانت السينما المصرية قد أنتجت 12 فيلماً دينياً، هي حسب تاريخ عرضها الجماهيري: "ظهور الإسلام" لإبراهيم عز الدين عام 1951، و"انتصار الإسلام" لأحمد الطوخي عام 1952، و"بلال مؤذن الرسول" لأحمد الطوخي عام 1952، و"السيد البدوي" لبهاء الدين شرف عام 1953، و"بيت الله الحرام" لأحمد الطوخي عام 1957، و"خالد بن الوليد" لحسين صدقي عام 1958، و"الله أكبر" لإبراهيم السيد عام 1959، و" شهيدة الحب الإلهي" لعباس كامل عام 1962، و"رابعة العدوية" لنيازي مصطفى عام 1963، و"هجرة الرسول" لإبراهيم عمارة عام 1964، و"فجر الإسلام" لصلاح أبو سيف عام 1971، و"الشيماء" لحسام الدين مصطفى عام 1972[4].

[1] –السينما والأدب في مصر 1927م–2000م: محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع 99، سلسلة الأعمال الخاصة، 1999م، ص 20

[2] –صورة الأديان في السينما المصرية: محمود قاسم، وزارة الثقافة، المركز القومي للسينما، 1997م، ص 375، وقراءة في واقع إنتاج الأفلام الدينية العربية / التابو في الفيلم الديني: د. حسن السوداني، 2009/02/22، موقع النور: http://www.alnoor.se/article.asp?id=41540

[3] – تاريخ الموضوعات الإسلامية في السينما، مرجع سابق

[4] – صورة الأديان في السينما المصرية، مرجع سابق، نقلاً عن:بانوراما السينما المصرية عام 1980: منير محمد إبراهيم

وقد تفاوتت نسبة نجاح هذه الأفلام، ولكن فيلم الشيماء يعد من أنجحها، ولعل من أسباب نجاحه أنه "أكثر الأفلام الدينية حركة باعتبار أن بجاد، وهو زوج الشيماء، فارس يقف أمام جموع المسلمين، وتبلغ شراسته قوتها وهو في ساحة المعركة، وقد استفادت السينما من فروسية الممثل أحمد مظهر في هذا المضمار"[1]. ويرى بعض النقاد أن نجاح الفيلم –رغم ركاكة الحوار وسوء السيناريو الذي أخل بقصة باكثير أيما خلل– "يرجع إلى الحشد الهائل في الإخراج الذي قام به حسام الدين مصطفى، حيث استعان فيه بمواد إخراجية مبهرة في التصوير والتنفيذ، حتى بلغ عدد الخيول المستخدمة في الفيلم 2500 حصان و1500 جمل... كما يرجع نجاح الفيلم أيضاً إلى الأناشيد التي أبدعها الشاعر الإسلامي الراحل عبدالفتاح مصطفى"[2].

وقد تعددت الآراء حول أسباب توقف السينما المصرية عن إنتاج الأفلام الدينية رغم نجاح فيلم الشيماء، فمن النقاد من يرد ذلك إلى تكاليف الإنتاج الباهظة[3]. ويرى بعضهم أن رفض المؤسسة الدينية لهذه الأفلام وتشددها في إجازتها يعد من أهم الأسباب[4].

فقد هوجم الممثل المصري يوسف وهبي، عندما حاول تجسيد شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) في السينما بالتعاون مع المخرج وداد عرفي في عام 1926، وجوبه بانتقادات شديدة من قبل علماء الأزهر، الذين رفضوا ظهور الشخصيات المقدسة في السينما، وأجبر الفنان الكبير حينها على تقديم اعتذار علني عن فكرته هذه تحت ضغط الإكراه، الذي وصل بالملك فؤاد إلى التهديد بحرمانه من الجنسية المصرية إذا أصر على تأدية الدور[5].

---

1 – المرجع السابق

2 – تاريخ الموضوعات الإسلامية في السينما، مرجع سابق

3 – خرجت ولم تعد: الأفلام الدينية ماتت بالسكتة الإنتاجية: رضا الشناوي، مجلة (آخر ساعة) المصرية، 2009/12/02

4 – قراءة في واقع إنتاج الأفلام الدينية العربية –التابو في الفيلم الديني، مرجع سابق

5 – غياب الأفلام الدينية... أزمة إنتاج أم سيناريو؟؟ – 07/08/2009– موقع ستار تايمز:
http://www.startimes.com/f.aspx?t=18530046

ومن الأسباب أيضاً ما صاحب عرض فيلم الشيماء من أحداث، حيث غضب رجال الدين والجمهور لأن السينما كانت تعرض في الوقت نفسه فيلما آخر تظهر فيه بطلة فيلم الشيماء (سميرة أحمد) في أحد أدوار الإغراء[1].

ومهما يكن من أسباب فإن فيلم الشيماء يعد من الأفلام الدينية الناجحة في السينما المصرية، وما زالت القنوات الفضائية تعرضه بنجاح في المناسبات الدينية إلى يومنا هذا.

بين الفيلم والمسرحية

لم يلتزم منتجو الفيلم بجميع أحداث المسرحية، بل أعطوا أنفسهم حرية التصرف حسب ما تقتضيه طبيعة العمل السينمائي. فأول ما نلاحظه من اختلاف بين المسرحية والفيلم، أن الفيلم لم يغط كل أحداث المسرحية، وذلك نظراً لطول الفترة التي تغطيها المسرحية، كما سلفت الإشارة، حيث تبدأ المسرحية بقصة حليمة السعدية وقدومها إلى مكة بحثاً عن رضيع، وتنتهي بإسلام بجاد (زوج الشيماء) في عام الوفود، وهي السنة الأخيرة في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، مروراً بكل أحداث السيرة النبوية بما فيها الغزوات. أما الفيلم فيبدأ من مرحلة الجهر بالدعوة متجاوزاً مراحل كثيرة من حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) تناولتها المسرحية.

كذلك فقد غابت من الفيلم أحداث كثيرة مهمة، فلم تذكر من غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلا الخندق وفتح مكة وحنين. وغابت بقية الغزوات التي تناولتها المسرحية.

إلا أن الفيلم حافظ على الشكل العام للمسرحية الذي يحكي أحداث السيرة النبوية من خلال الشيماء ودورها هي وزوجها في تلك الأحداث، ومن خلال أناشيد الشيماء التي تنافح فيها عن الإسلام وتروج له. إلا أن منتجي الفيلم لم يستفيدوا من قصائد باكثير وعهدوا إلى الشاعر عبد الفتاح مصطفى ليصيغ للفيلم أناشيده. وقد صاغ له تسع مقطوعات هي:

1 أيها الهادي إلى أكرم دين، وهي أغنية المقدمة أو الشارة التي كانت تردد أثناء ظهور أسماء فريق عمل الفيلم.

2 كم شاق الدنيا مولده، في الدقيقة 17

[1] – قراءة في واقع إنتاج الأفلام الدينية العربية –التابو في الفيلم الديني، مرجع سابق

3 قد جاء وليدا يتهدهد، في الدقيقة 31

4 يا راعياً ما أشجعه، الدقيقة 43:

5 لقد نجا لقد نجا، الدقيقة 46، بعد نجاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من تدبير قريش لقتله، وملاحقته له حين هاجر.

6 طلع البدر علينا، في الدقيقة 59، حين قدوم الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة مهاجراً.

7 رويدكم لا تعجلوا بربكم تمهلوا، في الدقيقة 75، بعد غزو ة الأحزاب

8 وا جريحاه وما يدري جراحي، كم قتيل في الهوى دون سلاحِ، في الدقيقة 107، حين جرح بجاد في فتح مكة.

9 كم ناشد المختار ربه في هدي إنسان أحبه، في الدقيقة 120

ولم ترد في الفيلم أي مقطوعة من شعر باكثير، كما أسلفنا، ولكن يبدو أن مؤلف تلك الأغاني قد اطلع على أشعار باكثير، حيث يبدو التأثر واضحاً في بعضها. فمن ذلك أن الأغنية الأولى وهي أغنية الشارة أو المقدمة تنتهي بعبارة من شعر باكثير هي: يا قرة العين يا محمد؛ففي المسرحية نجد الشيماء تغني وهي عائدة مع أبويها بالنبي (صلى الله عليه وسلم) [1]:

عودوا بمال وعسجدْ

فحسبنا حسبنا محمدْ

إلى أن تقول:

من يمن يمناك يا محمدْ

ويسر يسراك يا محمدْ

يا زين يا زين يا محمدْ

يا قرة العين يا محمدْ

1 – أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 16

وفي الفيلم نجد مقطعاً شبيها بهذا، هو:

يا قرة العين يا محمدْ

وكذلك الأغنية الخامسة يظهر فيها التأثر بقصيدة باكثير: نجا نجا، وذلك من خلال استخدام الوزن والروي نفسيهما، ومن خلال استخدام بعض الألفاظ والتراكيب المأخوذة من شعر باكثير، مثل:(نجا)، (هرجا)، و(عصبة الشر)، وغيرها. يقول باكثير[1]:

نجا نجا نجا نجا   من عصبة البغي
هو ابتغاهم أيما   نجا
تعاهدوا ليقتلنه   هم ابتغوه عوجا
باتوا يحيطون به   إذا الليل سجا
كيما يضيع دمه   ليقتلوه همجا
والله أقوى منهم   في قاتليه هرجا
مكراً وأخفى مدرجا

..إلخ

ويقابلها في الفيلم:

قوموا ودوروا
واقلبوا   صمت الليالي
يا عصبة الشر ارجعي   هرجا
لقد نجا لقد نجا لقد نجا   إن الصباح انبلجا
لقد نجا لقد نجا لقد نجا

ولو أن منتجي الفيلم جعلوا قصيدة باكثير مكانها لما تغير شيء، إذ اللحن نفسه يصلح للقصيدتين لاتفاق الوزن، كما أن المعنى متقارب في القصيدتين. ويبدو تفوق باكثير، في حسن اختياره للألفاظ، فلفظة (هرج) مناسبة لموقعها في قول باكثير:

كيما يضيع دمه في قاتليه هرجا

إذ هو يشير إلى حديث علامات الساعة الذي رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر

1- المرجع السابق، ص 72- 73

الهرج قيل: يا رسول الله: أيما هو؟ قال: القتل القتل[1]. فالهرج في اللغة هو القتل العشوائي الذي لا يؤخذ أحد به لعدم إمكانية معرفة القاتل. وهذا ما أرادته قريش، أن يتوزع دمه (عليه الصلاة والسلام) بين القبائل فيضيع.

أما في قول عبد الفتاح مصطفى:

قوموا ودوروا واقلبوا صمت الليالي هرجا

فهو يقصد بالهرج هنا الصخب والضوضاء، عكس الصمت، وهو معنى لم يرد في المعاجم، إذ يدور معنى (الهرج) حول الاختلاط والكثرة من كل شيء، والهرج شدة القتل وكثرته (لسان العرب: مادة ه ر ج).

ومن الاختلافات الأخرى بين الفيلم والمسرحية، وجود بعض الشخصيات التي لم تكن في المسرحية مثل سعيد المكي الذي ظهر في بداية الفيلم على أنه رسول من النبي (صلى الله عليه وسلم) يحمل هدايا منه لحليمة وأسرتها. وإن كان هذا الرجل لم يظهر بعد ذلك وظهر بدلاً منه ميسرة غلام خديجة كما ورد في المسرحية ليقوم بدور الرسول بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وأسرة حليمة.

ومن الاختلاف في الأحداث بين المسرحية والفيلم، نجد في الفيلم أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد أهدر دم بجاد بعد فتح مكة، بينما كان ذلك في المسرحية بعد حنين، متطابقاً مع ما ورد في كتب السيرة، وبالتالي فليس في المسرحية إشارة إلى اشتراك بجاد في فتح مكة ولا جرحه، كما ورد في الفيلم.

ومن الاختلافات أيضاً ما ورد في الفيلم من أن الشيماء هي التي خاطبت الرسول في قومها وقالت له: (إنما في الأسر حواضنك وخالاتك وعماتك..إلخ)، بينما التزم باكثير بما ورد في كتب السيرة من أن الذي خاطبه بتلك الخطبة إنما هو زهير بن صرد، وإن كان باكثيرقد جعل ذلك

[1] - موقع أهل الحديث:
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=284432&highlight=%C7%E1%E5%D1%CC

باقتراح من الرسول (صلى الله عليه وسلم) للشيماء بعد أن شفعت في قومها أن تختار وفداً منهم يأتون إليه مسلمين حتى يسأل لهم الناس[1].

ومن الاختلاف أيضاً بين المسرحية والفيلم دور دريد بن الصمة، فقد صوره الفيلم على أنه هو الذي أشار على قومه بالاختباء في الوادي ليفاجئوا المسلمين. أما في المسرحية، فقد جاء دوره متفقاً مع ما ورد في كتب السيرة من أنه أنكر على مالك بن عوف الخروج لملاقاة المسلمين كما أنكر عليه اصطحاب النساء والمال[2].

أما الطامة الكبرى في الاختلاف بين الفيلم والمسرحية فيتمثل في وجود مشاهد الرقص والمجون في الفيلم، وهي من المفارقات التي حفلت بها الأفلام الدينية مع الأسف. فرغم "أننا في أفلام دينية فقد يتبادر إلى الذهن أنها أفلام مليئة بعلامات الخشوع والتقوى فقط، ولكن العكس صحيح، فهناك أيضاً نفس المزيج الأزلي الذي تعرفه السينما خاصة في الحقبة التاريخية التي تم فيها إنتاج هذه الأفلام، وهو وجود عدد معين من الرقصات الخليعة وأيضاً مشاهد الدلال والغنج، مهما بلغت جدية القصة، وقد تم حشر مثل هذه الرقصات تحت ستار أن الإسلام قد ظهر ليطهّر البشرية من مثل هذه الخلاعة"[3].

وقد تكرر مشهد الرقص والمجون في فيلم الشيماء مرتين، المرة الأولى في مكة وحضره بجاد وكفار قريش (الدقيقة 27)، والمرة الثانية في المدينة، حيث أقام بجاد حفلاً للمنافقين واليهود (الدقية 69). وقد صاحب مشهد الرقص ظهور بعض الرجال والنساء في مشاهد غير لائقة، بل نجد من يمثل دور عكرمة يمسح بيده على ظهر غلام ملتصق به، مما يوحي بوجود علاقة غير سوية بينهما، وهو أمر لم تكن تعرفه العرب آنذاك.

فيلم الشيماء ومسلسل السطو على أعمال باكثير

لعل من المفيد هنا أن نشير إلى ما يتعرض له إنتاج باكثير الأصيل من سطو من قبل المنتجين والمخرجين، خاصة في التلفزيون بعد انتشار القنوات الفضائية وتسابقها المحموم في شهر رمضان من

[1] - أوبريت شادية الإسلام، مرجع سابق، ص 140

[2] - تهذيب سيرة ابن هشام، مرجع سابق، ص 298-299

[3] - صورة الأديان في السينما المصرية، مرجع سابق

كل عام لتقديم المسلسلات التاريخية. وقد وجد بعض هؤلاء المخرجين بغيتهم في إنتاج باكثير، ولكنهم لفرط جهلهم لم يلجئوا لأعمال باكثير التي لم يسبق إنتاجها، وهي كثيرة وغزيرة، بل لجئوا إلى تلك التي قدمتها السينما فأعادوا إنتاجها في شكل مسلسلات تلفزيونية. ونظراً لكثرة القنوات الفضائية وكثرة المسلسلات التاريخية فقد أصبح من العسير متابعتها، ولكن الله يقيض للحق دائماً من يظهره. فأول ما قرأت عنه من هذا السطو ما حدث لرواية (وا إسلاماه) التي تم إنتاجها في فيلم سينمائي سنة (1961) أخرجه المخرج الأمريكيأندرو ماريتون، وأنتجه: رمسيس نجيب[1]. وهي رواية معروفة في مصر ومقررة على طلاب المدارس حتى الآن. فقد أنتج مسلسل تلفزيوني سنة (1995) بعنوان (الفرسان)، يتناول الفترة التاريخية نفسها التي تناولتها القصة. و لم يتح لي مشاهدة المسلسل، ولكني قرأت مقالاً بقلم الدكتور عماد أبو طالب[2] يشير إلى أن المسلسل مأخوذ من قصة (وا إسلاماه)، وذلك من خلال تضمين بعض الأحداث التي أضافها باكثير من خياله و لم تكن مذكورة في كتب التاريخ. وغني عن القول أن منتجي المسلسل لم يشيروا إلى باكثير ولا إلى رواية (وا إسلاماه).

وقد قادني إلى هذا الحديث أنني قرأت في الإنترنت، ما يدل على أن هناك نية في تحويل قصة (الشيماء) إلى مسلسل تلفزيوني، كان من المفترض أن يعرض في رمضان الماضي (1432هـ/2011)، ولكن خلافاً حصل بين المنتج وبعض الممثلين أدى إلى تأخر إنتاجه حتى هذا العام (1433هـ/2012)، ولكنه لم يعرض هذا العام حسب علمي.وهذه خلاصة لما نشر حول الموضوع في الإنترنت.فتحت عنوان: (الأزهر يوافق علي "قيثارة السماء".. والميزانية 20 مليون جنيه)[3]، نشر أحد المواقع الإلكترونية خبراً نصه:

"وافق الأزهر الشريف علي حلقات المسلسل الديني "الشيماء قيثارة السماء" وأكد أن الحلقات ليس فيها مايتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع من البدء في التصوير والتسجيل.

[1] - السينما والتاريخ: محمود قاسم، كتاب الجمهورية، أغسطس 2001م، ص 44

[2] - حلقة جديدة في مسلسل السطو على الأدباء: د. عماد عبد الرؤوف أبو طالب، مجلة (أخبار الأدب)، العدد (129)، 31 ديسمبر 1995م

[3] - موقع (egypty.com)، 17 مارس 2009

أكد المؤلف محيي الدين مرعي أن ميزانية المسلسل تتجاوز العشرين مليون جنيه وهو انتاج مشترك بين مصر والسعودية والأردن ويلقي الضوء علي العبقرية الإعلامية للرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة الإسلامية.. وكيف كانت الشيماء بمثابة قناة فضائية منوعات للدعوة وبلال قناة دينية وحسان بن ثابت قناة ثقافية إلي جانب العبقرية العسكرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

تتعرض الأحداث للسيرة الذاتية العطرة للرسول صلى الله عليه وسلم. وللشيماء التي كان لها دور في نشر انتصاراته في الغزوات بالجزيرة العربية عن طريق الغناء ويتضمن المسلسل أكثر من ثلاثين أغنية مرشح لكتابتها الشاعر محمد التهامي والغناء لأصالة ومرشح من الأبطال صابرين وسلاف فواخرجي وهشام سليم في شخصية بجاد زوج الشيماء أخت الرسول صلى الله عليه وسلم وبسام خوري اخراج عصام شعبان. أشار مرعي إلي أن المسلسل يختلف اختلافاً كلياً عن أحداث الفيلم الذي يحمل نفس الاسم ولعب بطولته أحمد مظهر وسميرة أحمد واخرجه الراحل نيازي مصطفي (كذا) حيث أغفل الفيلم أربعين سنة من حياة الشيماء وهي الفترة التي التصقت برسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أن كان طفلاً رضيعاً حتى ظهور الدعوة واشتداد ايذاء قريش له وهي الفترة المهمة حيث كان للشيماء وأخوها (كذا) عبد الله دور مهم في ذلك الوقت في الوقوف بجانب الدعوة فكان عبد الله ينقل أخبار المشركين لمحمد صلى الله عليه وسلم وينقل الأخبار التي يريدها الرسول للمشركين أما الشيماء فكانت تتصدى لكل من يهاجم الرسول صلى الله عليه وسلم حتى زوجها بجاد لدرجة أنها حرمت جسدها على زوجها المشرك حتى نزل قرآن في هذه المسألة كما أنها ساهمت في نقل الدعوة للقبائل العربية بصوت شجي حسن".

والملاحظ على الخبر السابق أن مؤلفه ينفي أي صلة بين المسلسل وبين الفيلم، وقد ورد اسم مخرج الفيلم خطأً (نيازي مصطفى) والصواب هو (حسام الدين مصطفى)، ولكن سرد الأحداث هي نفسها التي وردت في الفيلم وفي مسرحية باكثير، مع عدم ورود أي إشارة إلى باكثير أو مسرحية (شادية الإسلام).

وتحت عنوان: (صابرين تعيد "الشيماء" إلى شاشة التليفزيون)[1]، نشر موقع إلكتروني آخر خبراًجاء فيه:

---

1 - موقع (elcinema.com) – 2010م: http://www.elcinema.com/news/nw678914571/

"يبدو أن عام 2010 على النجمة صابرين، عام مشحون بالعمل، فبعد مشاركتها المسرحية المميزة على خشبة مسرح الدولة في مسرحية "خالتي صفية والدير"، ثم وقوفها أمام العملاق يحيى الفخراني في مسلسله الرمضاني "شيخ العرب همام" وبطولتها لمسلسلي "احلم ولا يهمك" و"سامحني يا زمن"، تستعد حاليا للدخول في مسلسل "الشيماء". حيث أعلن المتحدث الرسمي باسم تليفزيون الشارقة منتج العمل: إنه تعاقد مع الفنانة صابرين والفنان مجدى كامل والمخرج عصام شعبان لتحويل قصة فيلم "الشيماء" إلى مسلسل تلفزيوني. هذا ومن جانبها أعلنت صابرين عن سعادتها بالدور واعتبرته تحديا جديدا لها بعد دور "أم كلثوم".

ونشر تحت عنوان: (صابرين: الحجاب لا يمنع الغناء وأتمنى تجسيد شخصية تحية كاريوكا)[1] نشر خبر طويل عن الممثلة صابرين جاء فيه:

"واعترفت صابرين أن السبب وراء عدم تقديمها أعمالا تاريخية يعود إلى خشيتها من الحديث باللغة العربية الفصحى، بخلاف أن الإنتاج المصري لمثل هذه الأعمال غير متميز على الإطلاق، غير أنها وافقت على تقديم فيلم الشيماء لأنه إنتاج مشترك بين مصر والإمارات. وأشارت إلى أن الأعمال المقدمة عن شخصية مثل الشيماء وغيرها إن لم تظهر بشكل لائق، خاصة على مستوى الإنتاج والتمثيل فالأفضل عدم تقديمها من الأساس.

وأكدت الممثلة المصرية أن الفيلم سيعرض قصة حياة الشيماء أكثر مما أظهرها الفيلم الذي قامت ببطولته الفنانة سميرة أحمد والذي يحمل نفس الاسم «الشيماء»، حيث ركز على موقفها من الرسول صلى الله عليه وسلم ومساندته في بداية الدعوة، مضيفة أن «الشيماء أخت الرسول من الرضاعة كانت بمنزلة قناة فضائية عربية في تلك الفترة، حيث كان يجتمع في بيتها كل النساء والرجال أيضا»".

ولكن يبدو أن الاتفاق مع الممثلة صابرين لم ينجح، حيث نشر موقع السينما تحت عنوان: (الشيماء قيثارة السماء مسلسل 2010)ما يأتي[2]:

[1] - موقع (mbc.net)في تاريخ 22 يوليو 2009م:
http://www.mbc.net

[2] - موقع (elcinema.com):

"الفنانة قمر خلفهي التي ستجسد شخصية الشيماء والفنان غسان مسعود لدور أخ الشيماء والفنانة سميرة عبدالعزيز في دور حليمة السعدية والفنان أشرف عبد الغفور زوجها الحارث بن العزة (المقصود: عبد العزى) والفنان جمال إسماعيل جد الشيماء، والفنان أحمد صيام سراقة بن مالك والفنان نبيل نور الدين الملك كسرى، كما يشارك في المسلسل النجم ياسر المصري من الأردن والفنانة مادلين طبر من لبنان. والمسلسل من تأليف محيي الدين مرعي واخراج عصام شعبان".

وتحت عنوان: (فريال يوسف تقع في حب "بجاد" في "الشيماء قيثارة السماء")[1]، نشر موقع (في الفن) خبراًورد فيه:

"وعن دورها في المسلسل قال توفيق: تقوم فريال بدور "سلمى"، الفتاة التي تعاني من حب "بجاد"، الذي لا يبادلها الحب، ويتركها ويتزوج من "الشيماء"، وتحاول "سلمى" طوال المسلسل أن تسترد حبيبها من "الشيماء".

"الشيماء قيثارة السماء" من تأليف محيي الدين مرعي، ومن إخراج عصام شعبان، ومن إنتاج شركة البحري وشركة "ستار تي في"، ومرشح لدور "الشيماء" الفنانة صابرين، ومن المنتظر أن يبدأ تصويره في نوفمبر 2010، ومن المقرر أن يتم التصوير بالكامل في سوريا، وسيكون ناطقا باللغة العربية الفصحى".

وكما نرى في جميع تلك المقتطفات لا ذكر لمؤلف مسرحية (شادية الإسلام) و(فيلم الشيماء) باكثير، بل هناك تأكيد على أن المؤلف هو (محي الدين مرعي) وأن المسلسل يختلف عن الفيلم. ولكننا نجد من خلال وصف الأحداث أنها –باستثناء شخصية سلمى– كلها مطابقة لأحداث المسرحية والفيلم. فلم تذكر كتب السيرة والتاريخ أن الشيماء كانت (قناة فضائية) ولا (مندوبة إعلامية) ولم يعرف عنها الغناء ولا النشيد. ولم يذكر أن زوجها يدعي بجاداً ولا أن أخاها عبد الله كان ينقل الأخبار بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبين المشركين، وإنما كل ذلك من خيال باكثير الذي سطره في مسرحية (شادية الإسلام)، ونقل الكثير منه فيلم (الشيماء) الذي اعترف لباكثير بالتأليف. أما صناع المسلسلات الفضائية الذين يتنافسون على غنائم رمضان فلا يعنيهم أن

/http://www.elcinema.com/work/wk1166318

[1] - موقع في الفن: http://www.filfan.com/News.asp?newsid=17403، 14 سبتمبر 2010م

ينسبوا الحق لأهله حتى لا يضطرهم الأمر إلى إلقاء بعض الفتات من موائد رمضان العامرة لصاحب الحق. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

الخاتمة

استعرضنا في الصفحات السابقة مسرحية (أوبريت شادية الإسلام) للأديب علي أحمد باكثير، التي تروي قصة السيرة المحمدية من خلال دور الشيماء أخت الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الرضاع، حيث أضاف عليها باكثير من خياله ما جعلها تؤلف الأشعار في مدح الإسلام وتغنيها، فكانت بذلك منبراً إعلامياً ينشر انتصارات الإسلام ويمجده، ويحث الناس على الدخول فيه، وقد صاغ لها باكثير عشرين قصيدة تؤرخ للأحداث الكبرى في السيرة المطهرة وتتغنى بها.

ثم وازنا بين أحداث المسرحية كما صاغها باكثير، وبين أحداث فيلم (الشيماء) المأخوذ عن هذه المسرحية، ورأينا أن منتجي الفيلم وإن كانوا قد أعادوا كتابة الحوار، وغيروا في بعض الأحداث، وحذفوا بعضها، إلا أنهم التزموا بالشكل العام للمسرحية وتطور الصراع وتنامي الأحداث فيها. وقد وضحنا بعض الاختلافات بين الفيلم والمسرحية وأهمها عدم الاستفادة من القصائد التي كتبها باكثير وتكليف شاعر آخر ليصوغ للفيلم تسع قصائد تم تلحينها وغنتها المطربة سعاد محمد وتم دبلجة صوتها مع صوت الممثلة، وذكرنا أن بعض تلك القصائد فيه تأثر بقصائد باكثير. ومن الاختلافات أيضاً تضمين الفيلم لمشاهد الرقص الخليع التي لم تكن موجودة في الأصل.

وقد أشرنا في نهاية البحث إلى ما تم الإعلان عنه في الصحف من عزم بعض المنتجين تحويل فيلم الشيماء إلى مسلسل رمضاني. ورغم أن الإعلان يذكر صراحة عن "تحويل" فيلم الشيماء إلى مسلسل تلفزيوني فإن "مؤلف" المسلسل يؤكد أن المسلسل يختلف عن الفيلم، ثم يسرد أحداثاً لم تذكر إلا في فيلم (الشيماء) وفي مسرحية (شادية الإسلام)، ولم يرد ذكرها في كتب التاريخ.

المصادر والمراجع:

أولاً: أعمال علي أحمد باكثير:

- أوبريت شادية الإسلام: علي أحمد باكثير، دار النهضة العربية، 1969م
- دور الأديب العربي في المعركة ضد الاستعمار والصهيونية: علي أحمد باكثير، مجلة الآداب، بيروت، مايو 1969م
- من فوق سبع سموات: علي أحمد باكثير، سلسلة إقرأ، دار المعارف، القاهرة، 1970م

ثانيا: الكتب:

- البداية والنهاية: أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1965م
- تهذيب سيرة ابن هشام: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ/1989م
- الرواية العربية في السينما: رضا البيطار، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الدراسات (349)، 1983م
- السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية: د. أكرم ضياء العمري، مركز بحوث السيرة والسنة بجامعة قطر، 1411هـ، 1991م
- السينما والأدب في مصر 1927م-2000م: محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع 99، سلسلة الأعمال الخاصة، 1999م
- السينما والتاريخ: محمود قاسم، كتاب الجمهورية، أغسطس 2001م
- صورة الأديان في السينما المصرية: محمود قاسم، وزارة الثقافة، المركز القومي للسينما، 1997م
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر العسقلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، 1959م
- معجم الروائيين العرب: د. سمر روحي الفيصل، جروس برس، لبنان، 1415هـ/1995م
- نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب النويري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1946م

ثالثاً: الدوريات والصحف:

- تاريخ الموضوعات الإسلامية في السينما، مجلة المجتمع، الكويت، العدد (1498)، 2002/4/27
- التجديد العروضي عند علي أحمد باكثير: د. عبده بدوي، المجلة العربية، السعودية، شعبان 1415هـ
- حلقة جديدة في مسلسل السطو على الأدباء: د. عماد عبد الرؤوف أبو طالب، مجلة (أخبار الأدب)، مصر، العدد (129)، 31 ديسمبر 1995م
- خرجت و لم تعد: الأفلام الدينية ماتت بالسكتة الإنتاجية: رضا الشناوي، مجلة (آخر ساعة) مصر، 2009/12/02
- علي أحمد باكثير.. صاحب الريادات والإبداع المتنوع في الشعر والرواية والمسرح: محمد أبوبكر حميد، صحيفة الجزيرة، السعودية، 1425/9/15 هـ/ 2004/10/29م
- مسرح باكثير الشعري: د. عز الدين إسماعيل، مجلة المسرح، مصر، العدد (17) إبريل 1970م

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

- الأزهر يوافق على "قيثارة السماء".. والميزانية 20 مليون جنيه، موقع إيجبتي: http://www.egypty.com/Arts/2009/March/17/59518/الأزهر-يوافق-علي-قيثارة-السماء--و-الميزانية-20-مليون-جنيه.html، 17مارس 2009م
- أضواء على مسرح باكثير التاريخي (2): الشيماء شادية الإسلام: عبد الله الطنطاوي، موقع رابطة أدباء الشام: http://www.odabasham.net/show.php?sid=1101، 2003/11/1م
- صابرين تعيد "الشيماء" الى شاشة التليفزيون، موقع السينما: http://www.elcinema.com/news/nw678914571/، 2010م
- **صابرين: الحجاب لا يمنع الغناء.. وأتمنى تجسيد تحية كاريوكا، موقع إم بي سي: http://www.mbc.net، 22 يوليو 2009م**
- غياب الأفلام الدينية... أزمة إنتاج أم سيناريو؟ 07/08/2009، موقع ستار تايمز: http://www.startimes.com/f.aspx?t=18530046

- **فريال يوسف تقع في حب "بجاد" في "الشيماء قيثارة السماء"، موقع في الفن: http://www.filfan.com/News.asp?newsid=17403**، 14 **سبتمبر** 2010م
- **قراءة في واقع إنتاج الأفلام الدينية العربية / التابو فيالفيلم الديني: د. حسن السوداني، موقع مركز النور للدراسات: http://www.alnoor.se/article.asp?id=41540**، 2009/2/22م
- مسلسل الشيماء قيثارة السماء 2010م، موقع السينما: http://www.elcinema.com/work/wk1166318/
- هل صحت صحبة الشيماء؟: موقع ملتقى أهل الحديث: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=279192&highlight=%C7%E1%D4%ED%E3%C7%C1
- هل يصح حديث: موقع ملتقى أهل الحديث: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=284432&highlight=%C7%E1%E5%D1%CC